

من شروط النصر 2

د. محمد توفيق رمضان البوطي

أما بعد فيا أيها المسلمون يقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ وقال جلّ شأنه في كتابه الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ويقول: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التمسوها - أي ليلة القدر - في العشر الأواخر، فإن ضَعُفَ أحدكم أو عجز فلا يُغَبِّنْ على السبع البواقي" وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة".

أيها المسلمون؛ كنت قد بدأت بشروط النصر في الأسبوع الماضي، وتزدحم الأمور في هذا اليوم فنحن مقبلون على العشر الأخير من شهر الرحمة من شهر البركة من شهر القرآن من شهر رمضان، ومع هذا العشر الأخير ينبغي أن نشمر عن ساعد الجد ونضاعف بذل جهودنا في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بشتى وجوه التقرب، مستذكّرين شروط النصر في وقت نحن فيه بأشد الحاجة إلى النصر، وأقف عند شروط اختصرتها الآية التي قرأتها: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ ﴾ التزام طاعة الله تعالى وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما أمر أو فيما نهى بالتزام الأوامر واجتناب النواهي هو شرط مهم في شروط النصر، فمن توخى النصر عليه أن يلتزم طاعة الله ورسوله، الأمر الآخر ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ العدو يريد تمزيق أمتنا، يريد تفتيت وطننا، يريد بث مشاعر الكراهية والفتنة بين أبناء مجتمعتنا، وإن شرط النصر دائما أن تكون أمتنا واحدة متماسكة قوية، أقوى من المؤامرة، أقوى من محاولات التفتيت والتمزيق التي يبذل العدو الجهد كله في سبيل القضاء علينا من خلالها، فينبغي أن نستبدل بالفرقة الوحدة، وأن نجعل شعارنا

التحابب بدلا من التباغض، والتعاطف بدلا من التخلي عن بعضنا، أن يحب بعضنا بعضا، أن يعطف بعضنا على بعض أن نشد بأزر بعضنا، أن نتراحم أن نتماسك. فأمة يرحم بعضها بعضاً لن تنهزم، وأمة يتخلى أبناؤها عن بعضهم لا تملك شروط النصر ولا أسبابه، وديننا هو الرصيد الذي يجعل هذه الأمة يعطف بعضها على بعض، أما الشرط الثالث فهو: واصبروا، نحن في ضائقة نحن في شدة نحن في صعوبة، كيف لا؛ وقد تألبت قوى الطغيان في الدنيا علينا؟ على أمتنا على بلادنا حشدت كل ما في وسعها من كيد ومن قوى من أجل ضرب هذه الأمة وتمزيق هذا الوطن، ولن يكون الرد فاعلاً إلا إذا واجهنا ذلك بالصبر، والصبر قوة إيجابية وليس قوة سلبية، الصبر قوة إيجابية تجعلنا نثبت في المواقف ونثبت في المواقف، ونقابل الصعوبة بتجاوزها، ونقابل الأهوال باقتحامها ونقابل الأخطار بالدوس عليها، ونقابل عوامل التمزيق والتفريق بالتماسك والتلاحم فيما بيننا، يريدون أن يكره بعضنا بعضا! فليحب بعضنا بعضاً؟، لن تؤمنوا حتى تحابوا هكذا يقول النبي ﷺ ينبغي أن تكون مشاعر المحبة في قلوبنا نابضة متوثبة قوية متماسكة نعم، نحن ينبغي أن نصبر على الأواء ونصبر على كل ما يمكن أن يعترضنا من صعوبات، ونقابل المؤامرة بنقيض أهدافها.

نعم نحن على أبواب العشر الأخير من شهر النصر، من شهر الفرج، من شهر غزوة بدر وفتح مكة، والتي أسأل الله تعالى تلك الذكريات متجددة في هذا الشهر، تبعث في نفوسنا الأمل ونرى بإذن الله تبارك وتعالى ثمرتها في هذا الشهر إن شاء الله تعالى، نحن على أبواب العشر الأخير ولذلك علينا أن نغتنيها بمزيد من الإقبال على الله سبحانه وتعالى، فهذا العشر هو عشر العتق من النار، هو العشر الذي فيه ليلة تختزل عمرك كله في ليلة واحدة، ليلة هي خير من ألف شهر، ولم توضح هذه الليلة لتجعل هذا العشر كله اندفاعاً إلى طاعة الله، تنفق هذا العشر كله في التقرب إلى الله، و للتقرب إلى الله عز وجل صور لا يغني بعضها عن بعض، كثرة قراءة القرآن، قيام الليل، الصيام، بطبيعة الحال نحن إن شاء الله تعالى صائمون، بالإضافة إلى هذا وذاك، نحن في موسم الزكاة والصدقة، فلنضاعف البذل ولنقاسم الفقير رغيفنا، ووالله لئن فعلنا ليباركن الله في رغيفك، ولنقدم له فلئن قدمت له ستجد أن الله يعوض ما قدمت أضعافاً، فالنبي ﷺ يقول: " ما نقص مال من صدقة " لا تظن أن ما تبذله سينقص من مالك بل سيبارك في مالك وستجد البركة فيما بقي لك من مالك، وستجد أن ما بقي لك من مالك سيضاعف

في أدائه وفي أثره في حياتك، وستجد أن الله سبحانه وتعالى قد فتح لك من أبواب البركة ما لم تكن تحتسب وما لم تكن تتوقع. نعم، بمقدار زيادة الإقبال على الطاعات... على القيام... على تلاوة القرآن... على الذكر على الاستغفار على التبتل لله سبحانه وتعالى في ليالي هذا العشر، بمقدار صدق توجهك إلى الله سيكون صدق بذلك لأخيك، أما سمعتم قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: " كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل " لأنه ينزل عليه القرآن يدارس القرآن وهذا الشهر شهر تلاوة القرآن فبمقدار ما تكثر من تلاوة القرآن تتوثب نفسك للبدل والعطاء، إذا كان القرآن حياً في قلبك؛ فينبغي أن يكون ذلك دافعاً للبدل من يدك وللعطاء، لأن يكون قلبك متوقدا بالرحمة تجاه إخوانك.

نحن في أزمة، نحن في شدة فرضت علينا ولكننا قادرون بإذن الله تعالى على هزيمة هذه الشدة وعلى أن نقف في وجهها بقوة، وأن نتغلب عليها بمقدار تراحمنا وبمقدار تعاطفنا وبمقدار الإحسان إلى بعضنا، بمقدار ما نبذل نجد أن التيسير قد حصل، وأن الفرج قد تحقق وأن النصر قد تنزل، وأن هزيمة أعدائنا قد تحققت، وأن البركة في معرفتنا أيضاً قد تحققت، إذا أردتم للبركة أن تتحقق فلنتعاون، ولنترحم ولنبدل، ولنقدم ولنؤثر على أنفسنا، هكذا وصف الله تعالى أهل المدينة المنورة عندما أتى إليهم إخوانهم من المهاجرين، ماذا قال؟ قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أهل المدينة فقراء أهل أرض زراعية، لكن فقرهم لم يكن ليمنع من البذل، شاطروا إخوانهم المهاجرين البيت والمال وكل شيء، والمهاجرون كانوا متعفين، فاجتمعت العفة مع الكرم والسخاء ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي شدة وفقر وفاقه، تجد أنه عنده قلة ذات اليد ولكنه مع ذلك يقاسم أخاه رغيفه، فيبارك له في رغيفه، وما هي إلا فترة وجيزة حتى حلت البركة في المدينة المنورة وتضاعف رزقها وتفتحت أبواب البركة عليها وصارت المدينة المنورة ينبوع بركة وعطاء وخير. نعم، إذا أردتم لشامكم هذه أن يضاعف الخير فيها؛ فما علينا إلا أن نضاعف البذل وبمقدار ما تبذل يعطيك ربنا سبحانه وتعالى، الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، أما من لا يرحم فلن يرحم، أما من استغل الفقير، من استغل الحاجة، من كان جشعاً، من كان نهماً طامعاً في أيدي المضطرين فستسد في وجهه أبواب البركة وسيرى ثمرة جشعه في حياته هنا في الدنيا قبل الآخرة، أقول: لقد اعتدنا على أبناء أمتنا أن

يكونوا باذلين، أسخياء كرماء، وهذه سمة مجتمعنا والله الحمد والمنة، فأرجوا أن تتجسد هذه السمة في الظروف التي نعيشها، وأرجو أن نفكر جيداً، يفكر أهل المعرفة والتخطيط في وسائل مجابهة ومواجهة الحصار الذي تفرضه دول البغي وقوى الاستكبار على وطننا بحيث تتحول الأيدي كلها إلى أيدي منتجة، أيدي مرتفعة لا منخفضة، أيدي باذلة لا مستجدية، أيدي معطاءة لا متسولة وتفتقر إلى الآخرين، اليد العليا خير من اليد السفلى، فلتكن أيدينا أيدي عطاء من خلال الانتاج، وينبغي على ذوي التفكير الاقتصادي أن يفكروا في تحويل مجتمعنا بآليات فاعلة إلى مجتمع منتج، مجتمع معطي، مجتمع يده العليا لا يداً سفلى، أقول: النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح: "من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة" والنبي ﷺ يقول: "حصنوا أموالكم بالزكاة" أتريد أن يبارك لك في مالك ابذل المال، يعطك الله أضعافاً، يبارك الله لك فيه بمقدار إخلاصك لله بذلك لا بمقدار مرءاتك، أما المرءاة فإنها محبطة للعمل، لن يستفيد المرء من عمله، حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، إذا كنت تعاني من علة جسدية، أو في أسرتك من يعاني مرضاً أو سقماً، لا شك أن النبي ﷺ قال: "داووا مرضاكم" النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا بأن نتداوى، فقال: "تداووا فإن الله ما أنزل من داء إلا أنزل له دواء إلا الموت" ولكن ذلك وسيلة من وسائل مداوة، والوسيلة الأقوى هي الصدقة. كم من مريض استبد به المرض حتى عانده فكان دواؤه بالصدقة، وهذا رأينا رأي عيين في الكثيرين، بل هناك من استعصت بهم الأمراض المستعصية القاتلة، فكان في الصدقة سبب شفاؤهم وسبب عافيتهم. وهذا نقوله عن مشاهدة لا نرويه عن كتب وغيرها، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء" في هذه الليالي ابسطوا الأكف إلى الله عز وجل أن يفرج عن بلادنا، ان يفرج عن أمتنا، أن يكشف الغمة، أن يجمع الشمل، أن يعيد حالة الأمن والأمان والطمأنينة إلى البيوت إلى الأهلين إلى المدن إلى القرى... وأن يصرف قوى البغي والشر عن أمتنا وأبنائها نعم، يقول ما نقص مال من صدقة، ولا عفى رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً، فاعفوا يعزكم الله، ولا فتح رجلاً على نفسه باب مسألة - إذا تسول من غير اضطرار - إلا فتح الله عليه باب الفقر، اليد العليا خير من اليد السفلى، ولتكن أيدينا قدر الوسع عليا بأن نكون منتجين، وأن نفتح الأبواب والتخطيط لتحويل الأيدي كلها إلى أيدي منتجة.

خطبة الجمعة 2016/06/24